Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(2) ; January 2019

غزلية القصيدة / المرأة – الأم عند الجواهري

The poem / The woman –The mother from Al-Jawahiri Poems

م.د سهام حسن خضر عضوة هيئة تدريسية

بكلية طب الاسنان / الجامعة المستنصرية

Siham Hassan Khdhir

Faculty Member Faculty of Dentistry / University of Mustansiriya

الملخص باللغة العربية

تظهر في هذه الدراسة البعد الآخر في نصوص الجواهري الشعرية من خلال رمزية الأم وماتحمله من مضامين أسطورية ودلالية بأظهار غير المرئي عن طريق ماهو مرئي .

فالترميز في الشعر يجعل لغة النص مشوقة ويفتح مجالاً اوسع للتأويل فعندما تكون اللغة غير مباشرة نجدها تستفز القارئ وتجعله يستغرق مع النص وأعادة قراءة القصيدة لأكثر من مرة لأجل أكتشاف صور أخرى فيه .

فهناك قراءة ظاهرية تحتمها القيود المعجمية والتركيبية والمعنوية تأخذ القارئ في طريق مستقيم الى نهاية القصيدة والمتلقي يدرك حينئذ ان هذه القراءة خاطئة وهناك قراءات باطنية خفيفة تأويله تؤدي الى ادراج دلالة القصيدة والكشف عن المعاني الخفيفة والعميقة ويأتي بذلك ترابط النص من خلال الربط مابين المعنى الرمزي والصورة الرمزية في هذا النص .

والجواهري هنا ابدع في التعبير عن رمزية المرأه الأم في مشاهد درامية مأساوية خلقها في نصه وكأنه أراد أن ينقل المتلقي الى معايشة نفسية مع الموتبما يكسبه فداحة الشعور برهبته ولتعميق هذا الدور لجأ الجواهري الى الأساطير التي تعظم شأن الميت بأسلوب السرد الشعري فخلق منها ثنائية ضدية متناغمة مابين الموتوالحياه

ومن خلال رمزية الموت جعل من هذه المرأه الأم شخصية محبة لأبنائها ضرب من خلالها أروع صور التضحيات والفداء بما أحتواه قاموسه الشعري الفذ وأظهر لنا أن للموت فلسفة أخرى جسدتها شخصية الأم من خلال اعطاء صورة شخص مُقبل محباً للموت يُستعد بهذا الموت .

والجواهري زاوج هنا بين الرمزية وصوره الشعرية الثرة المعجمية فيستخدم الأشياء اللغوية في المبالغة لدلالة على رمزية الأم التي لم ترضع ولدها من أجل أشباعه فقط بل ترضعه المبادئ والقيم العربية الأصيلة ، تدل بهذا على الدائرة الاستمرارية .

الكلمات المفتاحية :المرأة ، الأم ، الرمز ، وليدها ، التضحية

Summary

The symbol of the woman / mother in Al - Jawahiri' s collection of poems is a great influence, which is what we have observed through our follow-up to Al-Jawahiri"s poetic texts, which carries many meanings represented the visions of the poet and abstractions of himself.

This is why the woman (mother) has come up with a basic theme that carries within it symbolic indications of loyalty, patience and sacrifice, as we find that he covers this personality with something of holiness and reverence for her honor and loyalty, but also carries legendary dimensions and texts that show that Al-Jawahiri glorifies this woman / mother for her sacrifices that she made for her children, as her personality is known brave and powerful. And this generalization by the poet came in some of his poetry in plural form to demonstrate inclusiveness, as if he wanted to say that these qualities are found in our mothers. The goal of Al-Jawahiri is to create influence and effectiveness for the recipient, because the concept of motherhood is pervasive in our emotional consciousness.

And Al-Jawahiri when he flattered this woman / mother, he wanted to demonstrate of this woman's femininity and tenderness , this contrast between tenderness and cruelty, softness and roughness he wanted to show that a woman has all the qualities of tenderness, a woman is a person with sharp personality who becomes solid when the situation requires that.

This is why his texts came to express two symbolic dimensions: The first represents what the mother carries to her children through the drawing of an integrated image that expresses steadfastness, challenge and determination in order to strengthen the recipient"s personality and increase

the self-confidence, as indicated by the vocabulary that reveals the poet's hegemony over poetic expression and his ability of formulation and formation.

The second dimension is considered an acquisition based on bragging, and this bragging has been acquired from his mother. He denies the lack of it by his free mother, who has always been a criterion for the Arabs in its most prominent model. This acquisition represents Al-Jawahiri's pride and prestige.

And we find that Al-Jawahiri does not stand at the traditional vocabulary to provide us with a typical symbolic image, but he introduces this woman / mother a modern style and meaning and these terms are only indicative of the poet's possession of linguistic richness and high tone and the ability to adapt vocabulary to suit the requirements of the event, his words are inspired and expressive of the truthfulness of his experiment, which revealed his inner thoughts towards this woman which increased the richness of the text and cast its shadow on its texture, and these images came to express the beauty of the vocabulary mixed with the its meaning, because if the words do not have beauty in them, then their meaning would not be of value.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

إنه شاعر مشاكس للسلطة، كثير النفي والترحال، باحثاً عن ارضٍ لا تسجن أشعاره، لأنه آمن بوظيفة الفن للمجتمع: ثوري، إندفاعي، جماهيري، منبري،... صفات نلمسها في شخصيته، ونراها جلية في أعماله. إذ سجلت إبداعيته الشعرية على مدى أكثر من ثمانية عقود هذه المواقف، ولكن مع كل هذه الأزمة والإشكالية الأجتماعية، والإنكار لهذا الواقع المرير الذي آلت إليه حال الأمة، لا نرى في ديوانه سوى العراق، والأمة العربية في تأريخها القديم والحديث معاً. فقد منحه الله قريحة جياشة، ومشاعراً صافية مكنته من نظّم قصائد ومقطعات تُعَبِّرُ عن خلجات نفسه وخواطره، فقد توزعت أغراض شعره بين شعر ذاتي محض يصف فيه مشاعره وتشوقه إلى بلده، وما قاسى من معاناة في ترحاله وغربته. وبين شعر الغزل والمدح والوصف والرثاء والسخرية وسواها، صاغها بمعان وأخيلة وأنغام تذكرنا بمرحلة أزدهار الشعر العربي، فجاءت تحمل سمات الإبداع الفني بكل دلالاته ومعانيه، ولتحقيق هذه الغاية الفنية كان يستمد الديباجة الناصعة، واللغة الجزلة، والمعاني الصافية من شعر الفحول، ولم يلتفت بل أحزنه ما أحدثه المتأخرون في الشعر العربي من تلاعب بالألفاظ، والاستكثار من المحسنات، والتطريز على الثوب الخلق لإخفاء ضعف طبيعتهم الفنية. كان هذا الشاعر البارز في عصره (محمد مهدي الجواهري).

أقول لربّ الشعر (مهدي الجواهري)

الى كم تُناغي بالقوافي السواحرِ

فترسلها غُرّاً هواتفَ بالعُلا

يُميلُ اليها سَمعهُ كلُّ شاعرِ[1]

[1] ديوان الرصافي : خمسة اجزاء ، وزارة الثقافة والاعلام– بغداد ، ١١٠ .

غزلية القصيدة / المرأة الام

إن القصيدة الغزلية عند الجواهري جسد مرسوم بالكلمات، فواصلها وألوانها مستمرة من الذكريات التي تكشف عنها شفرات النص، وبوصفها جسداً لا بد أن يكون لها زينتها وحليها التي تصنع جمالها والمتمثلة في الوسائل البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ... وهو ما يسهم في رسم تلك الصورة الجميلة من كلمات، فالقصيدة الغزلية بتجلياتها امرأة (انوثتها) تتجسد في (اللغة الشعرية)، وأمومة بأنجاب المعاني:

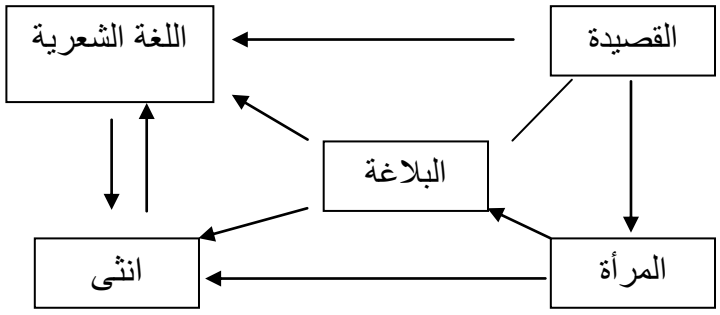

وبأطلاعنا على المخطط نجد إن العنصرين المشتركين الذين يجمعان بين القصيدة والمرأة هما اللغة الشعرية والانوثة، وهنا تظهر انوثة القصيدة أكثر عندما يتزين جسدها باللغة الشعرية. ولو تصفحنا ديوان الشعر قديمة وحديثه لوجدنا معجم وصفي لمفاتن المرأة وجمال جسدها، فقد قالوا لا حصراً: مدمجة الخصر، لذيذة العناق، طيبة النكهة، حلوة العينين، ساحرة الطرف، كأن سرتها مدهون، وكأن فاها خاتم، وكأن ثدييها حقان، وكأن عنقها إبريق فضة.[٢] ونجد إن هذا الوصف نابع من صور الشعراء وأخيلتهم ونظرتهم الى المرأة وموقفهم منها، حتى إتخذ بعضهم المرأة موضوعاً وحيداً لشعره دون سواه من الموضوعات، وهم بذلك قد حققوا رغباتهم وذواتهم وهويتهم الفنية من خلالها. وبما ان المرأة بوصفها مثيراً، والقصيدة بوصفها

[٢] الشعر العربي الحديث من احمد شوقي الى محمود درويش: ميشيل خليل جحا، ط١ ، دار العودة / دار الثقافة – بيروت، ١٩٩٠ : ٢٩٥ .

أستجابة لهذا المثير، نجد تنوع في الصور لما يثير جسدها ويوحي بعناصر الطبيعة، وعلى الرغم من تجليات رموز المرأة في شعر الجواهري الغزلي، إلاّأن المرأة الأمهي مدار شعره.

رمزية المرأة الأم

إن وجه المشابهة ما بين المرأة الأم والحبيبة تكمن في علاقة الحبيب بالمحبوب، ولكن العلاقة هنا تختلف، إذ تحيط علاقة المحبوب بأمه هالة من القداسة والإجلال فهي (الحنونة، المعطاءة، ينابيع عاطفة، الصابرة، ...) إنها رموز لصور عديدة جاءت لتعبر عن صفات هذه المرأة / الأم إكراماً ووفاءاً لها .

لقد شكلت رمزية المرأة الأم موضوعاً أساسياً لدى الجواهري فتعددت صورها بتعدد رؤى الشاعر وأساليبه الفنية ، فقد تناول صورتها أحياناً بشكل مباشر وأضفى أحياناً أخرى على ملامحها دلالات رمزية ، كما ألبس شخصيتها أبعاداً أسطورية ليظاهر مابين الحقيقة والخيال بقصد إبراز تعلقه بهذا الرمز الذي بلغ عنده حد التقديس ، فجعل منها رمزاً للوفاء والتضحية لأنها أم صابرة قادرة راغبة بطبعها استمرار الحياة ، إنها السيادة والجمال ، الذرية والخصوبة ، إنها حاضرة في داخل الفرد .

تمثل الأم لدى المبدع عنصراً مهماً يلجأ الشاعر من خلاله لبث رؤيته الإنسانية وأفكاره الى المتلقي عبر رصد المشبهات والصور الشعرية لتجسيد أمومتها وطابعها القدسي عند الانسان ، وهذا مانجده في نص الجواهري اللاحق والذي أنشده إحتفاءاً بيومها ، فلم يجد بداً الا أن يكبر فيها تلك التضحيات :

حيَّيهُنَّ بعيـــــدِهنـــــه من بِيضهِنَّ وسُودِهنّه
وحمدتُ شعريَ أن يـروحَ قلائداً لعُقودهنّـــــه
نَغَـمُ القصيـدِ قبستـــه من نغمةٍ لوليدهِنّه
كم بسمةٍ ليَ لم تكن لولا افترارُ نَضيدهنّه
ويتيمـــةٍ ليَ صغتهـــا من دمعةٍ بخدودهِنّة[٣]

[٣] ينظر : الشاعر والحاكم والمدينة : جبرا ابراهيم جبرا، ضمن دراسة نقدية عن محمد مهدي الجواهري : ٤٤ .

ففي هذا المقطع الاستهلالي يقدم التحية لهذه الأم تعبيراً عن إمتنانه وحبه لهذه المرأة ، فهو يصوغ أجمل قصائده قلائداً لعقودهن وفاءاً وإكراما لهذه المرأة، ولكننا عندما نسترسل مع النص نجده يقدم صورة أخرى توحي بتداخل رمزي مع موصوف آخر من خلال تعبير ضمني لايُصرح به مباشرة وهو الشجرة وتحديداً (النخلة) رمزاً لشموخها ورفعتها من خلال الإحالة (حاكن / لحاء) فهن اللواتي حاكن من سمر جلودهن لحاء وليدهن، ويخشين عليه من الردى فيفتدينه بوجودهن ، ولايكتفي بذلك بل يجعلها رمزاً للتضحية والفداء والدفاع عن أبنائهن:

قالوا (الشهيدُ) فقلت: ويحَ ثواكلٍ بوحيدهنّه
حُملنه تِسعـــاً وخـــــطنَ عليه سُمرَ جلودهنّه
حتى إذا ما ردّت الآمالُ بعـــــــض شُردهنّه
أوجدْنَـــه وفَديـنَـــــــه خوفَ الردى بوجودهِنّه[٤]

فهن اللواتي يخشين على أبنائهن خوفاً من الردى (الموت) ، والصورة هنا توحي بأنهن لم يجدن بداً الا ان يقدمن حياتهن فداءاً لأبنائهن ، فهذا التوظيف من قبل الشاعر لصيغة الخطاب الذي جاء بصيغة الجمع إنما جاء ليدلل على الشمولية لا التقييدية ، فهو لم يختزل هذه الصفات بإمرأة بعينها وإنما أراد أن يقول أننا نجدها عند أمهاتنا ، كما أنه عندما ذكر العدد (تسعاً) لميرد به فترة حمل الأم لإبنها في بطنها ، إنما أراد به مطلق العدد لاتقيده ، وكأن لسان حاله يقول : كما حملتك في بطني وخشيت عليك سأرعاك وأخشى عليك في حياتك أيضاً ، والشاعر هنا يود أن يضفي على ملامح صورة الأم إنساناً تقسم شخصيتها بصفات الشجاعة والقوة ، كما أن لها قدرة التشبث بالأرض كالشجرة ، وكأننا أمام صورة تأريخية للنضال ضد أعداء مجهولين ، والجواهري من خلالها يشكل أرضية مشتركة مابينه ومابين المتلقي ، لأن المتلقي يتأثر بشكل سريع لاسيما وأن فهوم الأمومة متغلغل في وعيه الوجداني.

[٤] ينظر : الشعر العراقي الحديث مراحله وتطوره : د. جلال الخياط، دار الرائد العربي– بيروت، ط٢ ، ١٩٨٧ : ١١٧

لهذا جاءت الإفتتاحية في مطلع قصيدته محملة بالإشارات الرمزية لتذكي وتشحن ذهن المتلقي لما سيأتي بعده ، وكأننا أمام مشهد له مقدمة جنائزية من خلال القرائن (الردى ، الحدة ، يحفرن)

واليوم جِيرةُ لحده يحفِرنَ سُودَ لُحودهنّه[٥]

وبنهاية هذا المقطع ينتهي المشهد (الدرامي) المأساوي الذي خلقه الجواهري في نصه وكأنه أراد بذلك أن ينقل المتلقي الى المعايشة النفسية مع (الموت) ، لأن الموت لايكتسب فداحة الشعور برهبته إلا في سياق العلاقة مع الآخر ، والآخر هذا كما قلنا له تأثير وجداني على المتلقي وهو (الأم) ، وهنا يلجأ الجواهري الى الأساطير التي تعظم من شأن الميت بأسلوب السرد الشعري وذلك من أجل تكثيف المشاعر ليخلق منها ثنائية ضدية متناغمة مابين الموت والحياة ، إلا أن الموت هنا جاء من أجل حياة الآخرين (الأبناء) ، والجواهري عندما يلجأ الى الرمز الأسطوري للموت أراد من خلاله أن يكون مكملاً لديمومة الحياة واستمراريتها فموت شخص ينتج عنه تفعيل لحياة شخص آخر .

ولهذا أراد الجواهري من خلال المعايشة النفسية لرمزية الموت أن يجعل من هذه المرأة / الأم شخصية محبة لأبنائها مقدمة أروع صور الفداء والتضحيات وما دلت عليه المفردات: (خطن عليه، شرودهن، أوجدنه، فدينه، بوجودهن، يحفرن، لحودهن ، ..... الخ)

كما جاء هذا المشهد مختزلاً في خمسة أبيات ، بعد أن قدم التحية والتهنئة للأم في المشهد الاول ، عمد الى التكثيف في المشهد الثاني ، وغايته في ذلك أن يختزل البعد الزماني والمكاني للحدث وكأنه يريد بذلك أن يكون الحدث ملاصقاً لكل متلقي وبتعبير آخر أن يشعر كل متلقي أن النص بإيحاءاته ورموزه مرسل اليه ، كما أن الجواهري يعلم أن للتكثيف قاعدة في سرة ايصال النص الى المتلقي ، لأن قيمة هذا التكثيف في النص الشعري يقوم باستحواذه على كلمات قليلة وبالتالي تكون سرعة تلقيه ويسر الإلمام به ومكونه في الذاكرة اكثر وخاصة حين يكون المشهد في النص مقطعاً قصيراً ، فإنه يفسح المجال لكي

[٥] ديوان الجواهري : دار العودة – بيروت، ط٣، ١٩٨٢: م١/١٣٣، وهي من منظوماته لعام (١٩٢٤).

يخترق بطاقة كلماته ذهن المتلقي ، كما لايحتاج للبلاغة الصاحبة التي قد تعد هذا التكثيف عن المراد أو أن تحجب الرؤية الحقيقية لإيحاءاته .

والجواهري في استخدامه لهذا التتابع (تتابع المشهد) اراد ان يدلل على قدرته في توظيف المشاهد وتسلسلها، كما اراد ان يبين ان هناك فلسفة اخرى للموت جسدتها شخصية الام ، فهو لا يقدم لنا صورة شخص مقبل على الموت كارهاً له ، بل محبا له املأ في انقاذ من يحب.

ويستمر خيال الجواهري في تكوين مشهد وصفي اخر ليخبرنا في المقطع اللاحق عن الصفات الخلقية والخُلقية التي اتصفت بها هذه المرأه / الام :

قالوا: أماشي لديك لرودهنّ وخَودِهنّه[٦]

فأجابتُهم إني أخافُ علي بعضَ شُهودهنّه

الله أيّـــــةُ رقـــةٍوقساوةٍ في عُودهنّه

عمرننا بجهوهنه وهدمننا بصُدودهنّه

زن الحياةَ بوعودهنّ وشِنَّها بوعيدهنّه[٧]

عمد الجواهري في هذا المقطع الى رسم ملامح شخصية هذه المرأه / الام ،ولكن جاء هذا الرسم بصورة وصفا من الغزل العفيف، فيصفها بالفتاه الحسناء الحسنة الخلق من خلال تأكيده على المفردتين (رود / خود) كما يأتي بمقابلة تضاد يبين أن هذه المرأه بقدر ماتعطي تمنع (رقة / قساوة / غمرتنا / زن / شن) فهو لم يقل (لين) لما يقابل (القساوة) ، بل جاء بمفردة (رقة) ليعمق من خلالها مفهوم أنوثة هذه المرأه، لدي المتلقي، وهذا التقابل التضادي الذي جاء به الجواهري في هذا المقطع أراد من خلاله أن يبين أن هذه المرأه / الام بقدر ماتملك من الحنان والعاطفة والرقة في طبعها ، تملك من القوة والقساوة والحدة أيضا والجواهري

[٦] المصدر نفسه: م١/٢٦٥ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٢٩).

[٧] المصدر نفسه: م٢/٢٦ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٢).

هنا لايشير الى الدور المباشر بل يشير الى البعد الرمزي من أنها بدأ قويا وذات شخصية صلبة عندما يتطلب الموقف.

(المرضعة ، الحنونة ، الواعظة ، الخير) فعلاقة الملازمة هذه ليست علاقة عاطفية أو تعلق، بل هي علاقة مصير ، علاقة جزء من كل ، فلا يستطيع أن ينفصل عنها أو يزديها أو يهجرها ، وهنا نجد أن السمة العامة لهذه النصوص في التفخيم والتوقير:

مهلاً رويدكم فمـــــا صافحت يوماً من يخون
أمي غذَتني المهلبـــــات وضرعُهاحَفلٌ لبون
وابي تحلَّف أن يجـــوعَ ولا يزلُ، ولا يهون
ودرجت دربَهما وطالتْ بي على الدّرب السنون[٨]

نجد في هذا المقطع بعدين رمزيين : الاول قائم على المزاوجة بين صورة الاب والام، والثاني في حالة المفاخرة، فالاول جاء حضورهما بشكل متواز فلم تطغى صورة أحدهما على الاخر بل جعل منهما لوحة متكاملة تعبر عن الصمود والتحدي والأصرار، كما أن رمزية البعد الاول قائمة على ثنائية الاب ؟ الابن : الام ؟ الابن ، وهذه الثنائية مابين الاب والام من جهة والابن من جهة ثانية ذات دلالات رمزية يمثل الابن هنا الجيل الجديد من الشباب وهنا يأتي دور الاكتساب من هذه الرموز لان دور الاباء هنا ومايحمله من دلالات جعل مردوده الرمزي بالايجاب لدى الابناء، من خلال الاكتساب من المخزون الثقافي لدى الاباء، كما عمق مفهوم الصمود والتحدي وعدم الانكسار أو الانهيار، لأن مفهوم الاباء وما يحمله من رموز وايحاءات دلالية يعد لدى الابناء وهو صرح شاخص يساعد في تقوية الشخصية وزيادة ثقة النفس.

كما أن هذا التناغم والتلاحم مابين الام والاب شكل مفهوم الاسرة التي يوضفها الجواهري أيضا رموزا وايحاءات نصه، فهو لايقدم في هذا النص مفهوم عن الاسرة التقليدية المألوفة، بل تمثل لديه هذه الاسرة

[٨] المصدر نفسه: م٢/٥٧ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٤).

الانتماء والجذور التي تمده بالصمود والتحدي والاصرار، والجواهري من خلال هذا الاستدعاء الرمزي لشخصية الاباء اراد ان يؤكد من خلاله امرا بأنه ابن بار بوالديه، فهو يعترف لهم بدورهم الجليل في تكوين شخصيته، وفي زرع كثير من القيم والمبادئ في فكره ووجدانه وبالمقابل ماهو الا امتداد لهم.

أما رمزية البعد الثاني فهي قائمة على المفاخرة، والجواهري عندما يفخر هنا فهو يفخر بنفسه، ولكن هذا الفخر أكتسبه من امه وابيه، فهو ينفي النقص عنه بفخره بأمه الحرة، وأنه ابن ابيه الابي، وكما وهو معلوم أن الام ظلت مقياسا للنسب عند العرب في نوذجها الابرز، فأصبحت مضربا للامثال، وهذا النوع كم صور الفخر عادة موروثة عند كثير من الشعراء منذ القدم، فالشاعر عندما يمتدح أصوله، يلجأ الى ذكر أقرب وأوضح صورة لفكرة وهي الحبيبة (الام)، فهو يكتسب لنفسه هذه الصفة من العزة والشموخ لأن أمه أرضعته فأعطاها صفة (صقل لبون) أي كثير اللبن، والجواهري كثيرا ما يستخدم هذه الاشياء اللغوية في المبالغة (التفضيل) مثل : (لبون، مدرارة ..... الخ) للدلالة على الخير والنماء.

ورمزية الكثرة هنا في صيغة التفضيل أراد بها الجواهري أذ امه لم ترضعه من أجل أشباعه فقط بل ارضعته هذه المبادئ والقيم، فلفظة (لبون،مدرار) تدل على الدائرة والاستمرارية وهذ ما سنلاحظه أيضا في النص اللاحق.ففي هذا النص نجد أشارة رمزية لهذا الضرع المدرار الذي يغطي يمنح، كصدر أمه مدرارا بعطائه:

دمشقُ: لم يأت بي عيشٌ أضيقُ به

فضرعُ (دجلة) لو مسَّحْتُ درَّار[٩]

فهذا النهر مدرار بعطائه كصدر أمي الذي يروينى ولا ينقطع، والملازمة الفكرية للشاعر هنا هي التي أوحت له بهذه الصورة، والتي دلت عن تعلق وحب ما بين الرضيع ومرضعته.

وفي نص آخر يلجأ إلى أستشارة العاطفة الوجدانية، من خلال الصور المستمدة من واقع الحياة اليومية والتي تثير العاطفة والخيال، وهذه الإستشارة تختلف بأختلاف الطرح والرؤية، لأن كل موضوع يمتاز

[٩] المصدر نفسه: م٢/١٣١ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٩).

من غيره بأختلاف الأحاسيس والمشاعر، ففي قضية الوحدة العربية يصور لنا الشاعر حالة التلاؤم هذه كتلازم الوليد وأمه، وما يجمع بينهما من مناغاة محببة الى القلب:

دَعَوا الى الوحدة الكبرى فقلت لهم
نَذرٌ لذلك مني الروحُ والجسدُ
خمسينَ ظَلْتُ أناغيها كما نَغَمتْ
أمُ الوليدِ يناغي عندها الولد[١٠]

فالأم ووليدها في تناغم ومناغاة تدعوه ويدعوها في علاقة عاطفية محببة إلى النفس، تُثير هذه الصورة في نفس القارئ الإحساس بالدفء والألفة والمودة إذ يتجاذب طرفا الصورة الأم ووليدها في تناغم، ولكن حين يُريد الشاعر أن يصور شيئاً أحبه حباً يجري في دمائهِ، وكان لابد من أن يزيح عينه عنه، نراه يلجأ الى صورة الأم ورضيعها، ذلك الرضيع الذي فطم رغماً عنه، ولكنه لا يريد الفطام ولا يريد الإبتعاد عن صدر أمه:

وصرفت عيني وهي عالقةٌ صَرفَ الرَضيع بِرغمِهفُطما
عن كلَّ ما جرت الدماء بهِ ما رقَّ من شيءٍ وما عظُما[١١]

وبأزدياد الشاعر من استخدام هذه الصورة، يزداد اقتراباً من أجزائها أكثر فأكثر، ولكن الاختلاف في طريقة التناول هو الذي يُبرّز هذه الصورة، وما مر بنا من صورة الفطيم وامه، والام ووليد ما يدللُ على ذلك وان تقاربت في مضمونها، وهذا ما سنلاحظه في هذا المقطع أيضاً:

أحقاً أن (امَّ الخير) منها بعاصمة الرشيد أحاطَ شرّ
رأوا حسنَ العراق فأعجبتهمْ اباطحُ من ربيعٍ فيه خُضر

[١٠] المصدر نفسه: م٢/٣٣٣ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٤٨).

[١١] المصدر نفسه: م٣/٢٣٣ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٥٩).

وقد حنُّوا إليه كما تلظّى فطيمٌ حول مرضعةٍ تَدُرّ[١٢]

ففي هذا المقطع يصور لنا الجواهري أولئك الطامعين الجشعين الذين رأوا خير العراق (أباطح من ربيع فيه خضر) مما دب الطمع في قلوبهم وأرادوه شراباً سائغاً لهم، فجاء بهذه الصورة (الفطيم والمرضعة)، وبالعودة الى النصين السابقين نجد أن الجواهري يلجأ الى التركيز على (رمزية الأم) وما تحمله من دلالات معنوية نفسية ومدى تأثيرها في نفسية المتلقي، ففي النص أعلاه نلاحظ ان العلاقة بين (الفطيم والمرضعة) ليست علاقة تناغم وانسجام كما سبق ورأينا، وكذلك ليست هي علاقة (الوليد بأمه)، وليست صورة (الطفل الفطيم) الذي يرغم مكرهاً على الفطم، بل هي صورة لفطيم مختلفة، إذ جاءت كلمة (فطيم/نكرة)، وكذلك جاءت كلمة (مرضعة/نكرة)، وهذا الانكار يبين نوع العلاقة بين طرفي المشبه به في كلمة (فطيم).هنا، وقد لا يكون هذا الرضع صليباً لهذه المرضعة، ولكن ما يجعله يقترب منها هو هذه الصفة التي أتصفت بها (مرضعة تدر)، أنها ناهدة الصدر، مدرة للحليب، وهو ما أغرى الفطيم بها لما تملكه من در فراح يتشوق للرضاعة بل (يتلظى، يلتهب).

وغاية الجواهري هنا ما تثيره لفظة (أم) من دلالاترمزية لدى القارئ، وهو ما نجده ايضاً في قصيدته (يا أم عوف):

يا (أم عوفٍ) عجيباتٌ ليالينا

يُدنينَ أهواءَنا القصوى ويقصينا[١٣]

أو كقوله في قصيدة (ناجيت قبرك):

حييت (أمّ فرات) إن والدة

بمثل ما انجبت تكنى بما تلد[١٤]

[١٢] المصدر نفسه: م٤/١١٦ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٧٠).

[١٣] المصدر نفسه: م٤/١١٨ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٧٠).

[١٤] المصدر نفسه: م٢/١٦٦ ، وهي من منظوماته لعام (١٩٤٢).

فالشاعر هنا يرثي (زوجته مناهل) بقصيدة بكائية رائعة، وهو لا يصرح باسمها بل بكنيتها، وهذا يدل على إن الجواهري مدرك لأهمية رمزية لفظة (الأم) وما تحمله من ثقل وجداني لدى السامع من جهة، ومن جهة أخرى إن لفظة (الأم) تدل على التضحية والنضال وصفات أخرى كثيرة يزخر بها قاموس هذه الكلمة وكأن لسان حاله يقول ان لا يخاطب حبيبة بل أم وعليه أن يجل الخطاب للمخاطب لما ترتقيه هذه الكلمة، كما أنه لا يخرج عن إطار التناص الضمني لهذه المفردة وكأنه يقول أنا أقف مع أولئك الأوائل الذين تناولوا اسماء حبيباتهم في اشعارهم وإن لم يصرحو بأسمائهن، فالحارث بن حلزة اليشكري يذكر (أم أوفى، أم قشعم،...) ، وطرفة بن العبد الذي يذكر في نصوصه (أم فرقد، ...)، وعمرو بن كلثوم (أم عمرو، أم سقب، ...) ، وعنترة (أم الهيثم)، ودريد بن الصمة (أم معبد) ، وغيرهم كثير وهو ما يدل على إدراك المبدع في كيفية صياغة نصه، واسلوب توظيفه.

الخاتمة

إن للرمز صفة جميلة إذ يجعل من النص مادة مشوقة تستهوي المتلقي، كما تفتح مجالاًأوسع للتأويل من هنا نجد إن الرمزية المرأة / الأم في ديوان الجواهري الأثر الكبير وهو ما لاحظناه من خلال تتبعنا لنصوص الجواهري الشعرية التي تحمل معاني عديدة مثلت رؤى الشعر وخلجات نفسه.

لهذا جاءت (المرأة / الأم) موضوعاً أساسياً يحمل بداخله دلالات رمزية تعبر عن الوفاء والصبر والتضحية، كما نجده يُلبس هذه الشخصية شيء من القداسة والوقار إكراما ووفاءً لها، بل ويحملها أبعاداً أسطوريةً أيضاً وما وجدناه من نصوص تدلل على إن الجواهري يكبر في هذه المرأة / الام تلك التضحيات التي جعلت من نفسها فداءً لأبنائها، كما هذه شخصيتها بصفات الشجاعة والقوة. وهذا التعميم من قبل الشاعر جاء في بعض نصوصه الشعرية بصيغة الجمع ليدلل به على الشمولية لا الفردية، وكأنه أراد أن يقول إن هذه الصفات نجدها عند أمهاتنا. وغاية الجواهري من ذلك هو خلق التأثير والفاعلية في نفس المتلقي، لأن مفهوم الأمومة متغلغل في وعينا الوجداني.

والجواهري عندما يتغزل بهذه المرأة / الأم إنما أراد به الغزل العفيف ليدلل به على أنوثة ورقة هذه المرأة، فهذا التقابل التضادي ما بين الرقة والقسوة، اللين والخشونة أراد ان يبين به بأن المرأة بما تملكه من صفات دللت على الرقة في طبعها، كما تملك أيضا القسوة والحدة إنها أمرأة ذات شخصية صلبة عندما يتطلب الموقف.

لهذا جاءت نصوصه لتعبر عن بعدين رمزيين: الأول تمثل بما تحمله الأم لأبنائها من خلال رسم صورة متكاملة تعبر عن الصمود والتحدي والإصرار وذلك لتقوية الشخصية لدى المتلقي وزيادة الثقة بالنفس، وهو ما دلت عليه المفردات التي تفصح عن هيمنة الشاعر على التعبير الشعري، وقدرته على الصياغة والتشكيل.

والبعد الثاني: يعد مكتسب قائم على المفاخرة، وهذه المفاخرة قد اكتسبها من أمه، فهو ينفي النقص عنه بأمه الحرة التي طلت مقياساً للنسب عند العرب في نموذجها الابرز وهذا الأكتساب يمثل لدى الجواهري العزة والشموخ، كما يركز ويذكي المبادئ والقيم في ذهن المتلقي.

ومن خلال ما قدمناه نجد أن الجواهري لا يقف عند المفردات التقليدية ليقدم لنا صورة رمزية نمطية، بل نجده يقدم لنا هذه المرأة/ الأم بأسلوب ومعنى حداثوي وما هذه التعابير المترفة إلا دليلاً على أمتلاك الشاعر للثراء اللغوي وعلو النغم والقدرة على تطويع المفردات بما يلائم متطلبات الحدث فألفاظه جاءت موحية ومعبرة عن صدق التجربة والتي كشفت عما يجول بخلد وخاطر الشاعر تجاه رمز هذه المرأة الذي أكسب النص طاقة وإشعاع مما زاد من غنى النص وألقى بظلاله على نسيجه، وما جاءت هذه الصور الا لتعبر عن جزالة اللفظ وألتحامه مع المعنى لأن الألفاظ إن لم تكن جميلة لم يكن للمعنى قيمة.

المصـــادر

١- ديوان الجواهري، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢، وهي من منظوماته لعام ١٩٢٤.
٢- ديوان الجواهري : م/١، وهي من منظوماته لعام (١٩٢٧).
٣- ديوان الجواهري : م/١، وهي من منظوماته لعام (١٩٢٩).
٤- ديوان الجواهري : م/٢، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٢).
٥- ديوان الجواهري : م/٢، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٤).
٦- ديوان الجواهري : م/٢، وهي من منظوماته لعام (١٩٣٩).
٧- ديوان الجواهري : م/٢، وهي من منظوماته لعام (١٩٤٢).
٨- ديوان الجواهري : م/٢، وهي من منظوماته لعام (١٩٤٨).
٩- ديوان الجواهري : م/٣، وهي من منظوماته لعام (١٩٥٥).
١٠- ديوان الجواهري : م/٣، وهي من منظوماته لعام (١٩٥٧).
١١- ديوان الجواهري : م/٣، وهي من منظوماته لعام (١٩٥٩).

١٢- ديوان الجواهري : م/٤، وهي من منظوماته لعام (١٩٥٩).

١٣- ديوان الجواهري : م/٣، وهي من منظوماته لعام (١٩٦٢).

١٤- ديوان الجواهري : م/٤، وهي من منظوماته لعام (١٩٦٩).

١٥- ديوان الجواهري : م/٤، وهي من منظوماته لعام (١٩٧٠).

١٦- ديوان الرصافي : خمسة اجزاء، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد.

١٧- رسائل الجاحظ : ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت ، ١٩٩٠.

١٨- الشاعر والحاكم والمدينة: جبرا ابراهيم جبرا ، ضمن دراسة نقدية عن محمد مهدي الجواهري.

١٩- الشعر العراقي الحديث مراحله وتطوره : د. جلال الخياط، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٧.

٢٠- الشعر العربي الحديث من احمد شوقي الى محمود درويش: ميشيل خليل جحا، ط١، دار العودة ، دار الثقافة – بيروت ، ١٩٩٠.